Black plate (80,1)

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣].

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الْاِسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

وَدَلِيلُ الْاِسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفَلَق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الْاِسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

Black plate (81,1)

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧]).

الشَّرح

الخوف وأنواعه

قوله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾): (**الخوف**): توقع مكروه عن أمارة أو علامة مظنونة أو معلومة، وضد الخوف: الأمن. والخوف عبادة، والدليل على أن الخوف عبادة ما استدل به المؤلف رَحِمَهُ اللهُ وهو قول الله وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فقد جعل ذلك شرطًا في الإيمان، وأول هذه الآية ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ومعنى ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي: يخوفكم بأوليائه.

والخوف أنواع:

النوع الأول: **الخوف الطبيعي**: هو ما جبل الله تعالى عليه الآدميين من الخوف من الأمور الضارة: كالخوف من السبع والحية والنار والعدو؛ وهو يقع لكل الناس، حتى أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ألقى العصا وانقلبت ثعبانًا: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، فهذا خوف طبيعي ركبه الله تعالى في بنية ابن آدم؛ لدوام سلامته وحفظ الجنس الإنساني، ولو لم يكن عند الإنسان خوف لهلك الناس

Black plate (82,1)

منذ القدم؛ لأن الخوف يحمل ابن آدم توقي ما يضره، وهذا نوع مباح لا يلام عليه صاحبه.

النوع الثاني: **الخوف المحرم**: وهو ما منعك من فعل واجب، أو حملك على الوقوع في محرم؛ فهذا الخوف خوف محرم لكنه لا يبلغ مبلغ الشرك.

مثال: وجب الجهاد على المسلمين، واستنفرهم الإمام، وقد قال النبي ﷺ: «**وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»(١)، فمنع الخوف بعض آحاد المسلمين من القيام بهذا الواجب، فهذا الخوف مذموم؛ لأنه حال بينه وبين فعل ما أوجب الله تعالى عليه؛ ولهذا حذر الله عباده، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، لما قعدوا عن الجهاد خوفًا على أزواجهم وأولادهم.

النوع الثالث: **خوف العبادة**: ويسمى أيضًا خوف السر؛ لأن محله القلب لا يطلع عليه إلا العليم بالأسرار، وهو أن يخاف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فمن وقع منه ذلك، فقد وقع في الشرك الأعظم، كأن يخاف من جن أو مخلوق أن يصيبه بشيء لا يملكه ولا يستطيعه؛ فهذا الخوف خوف ينافي التوحيد؛ فلا يجوز صرفه لغير الله ﷻ. ويجب على الإنسان أن يعلم أنه لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يصرف السيئات إلا الله ﷻ، فمن خاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد أشرك.

قال ابن رجب رحمه الله: «والقدر الواجب من الخوف، ما حمل عَلَى أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد عَلَى ذلك بحيث صار باعثًا

(١) أخرجه البخاري، رقم: (١٨٣٤)، ومسلم، رقم: (١٣٥٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

Black plate (83,1)

للنفوس عَلَى التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلًا محمودًا، فإن تزايد عَلَى ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو همًّا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ، لم يكن ذلك محمودًا»[(١)]؛ فالخوف المطلوب هو الخوف المحمود، الذي يحجزك عن محارم الله؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيما نقله عنه تلميذه ابن القيم: «الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله»[(٢)]، وما زاد عن ذلك فلا حاجة لك به. وبيان ذلك أنك تحتاج حصة من الخوف في قلبك تكون رادعًا لك عن غشيان الحرام، فإذا تحقق ذلك فحسن، فإن زاد قليلًا وحملك على مزيد توق من المشتبهات والمكروهات، فهذا نور على نور، لكن إن تزايد ذلك الخوف بحيث أفسد عليك عيشك، وأقض مضجعك، وصرت لا تهنأ بعيش؛ فعليك أن تتخفف منه؛ لأنه ليس من هدي النبي ﷺ؛ بل الواقع هو حالة نفسيه غير مرادة شرعًا، فبعض الناس الذين يدمنون قراءة المواعظ والزواجر ربما يتضاعف عندهم هذا الشعور حتى يسبب لهم قلقًا وأرقا وبلبلة وتشويشًا إلى درجة أنه يعطل عليهم مصالحهم الدينية والدنيوية؛ فلا يهنأ بعيش.

ونبينا ﷺ ـ وهو سيد الخائفين بأبي هو وأمي ﷺ ـ كان أطيب الناس عيشًا وأهنأهم مجلسًا.

قوله: (ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾).

(١) التخويف من النار، لابن رجب (ص٢٨)، مكتبة دار البيان، وهو ضمن مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ١١٢).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١١).

Black plate (84,1)

حقيقة الرجاء وأنواعه

حقيقة الرجاء: أنه ظن وانفعال يقوم في القلب يقتضي حصول ما فيه مسرة؛ فالرجاء هو الأمل؛ أن يأمل الإنسان حصول شيء محبوب.

والرجاء عبادة، والدليل على كون الرجاء عبادة قول الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾: يدل على أن الرجاء الصادق ليس بالأماني لا بد من العمل.

والعمل الصالح ما جمع وصفين:

الوصف الأول: الإخلاص لله.

الوصف الثاني: المتابعة لرسول الله.

قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾: فدل على أن رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك.

والرجاء نوعان: رجاء عبادة ورجاء مباح:

فرجاء العبادة لا يجوز صرفه لغير الله؛ لأنه رجاء السر؛ وهو أن يتعلق القلب بالمرجو في حصول منفعة أو دفع مضرة:

فإن كان ذلك الأمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فلا يجوز صرفه لغير الله.

أما إن كان ذلك الأمر مما يقدر عليه الغير فلا حرج فيه، ولا بأس بأن يطلب من الغير. فإذا قلت لصاحبك: أرجوك أعطني الكتاب، هذا ليس رجاءً شركيًّا.

وأهل التحقيق وأهل التوحيد البالغ يفحصون رجاءهم، حتى إذا طلبوا من غير الله ﷻ أمرًا ليتحقق على أيديهم، لم يفارقهم شعور بأن مسبب الأسباب هو الله ﷻ؛ فإذا ذهب مثلًا إلى طبيب، لا يجد قلبه

Black plate (85,1)

معلقًا بشخص هذا الطبيب، وإنما يقوم في قلبه أنه سبب ساقه الله تعالى إليه، وربما أجرى الشفاء على يديه، فقلبه في الحقيقة يستقبل ربه ولكنه لا يبطل الأسباب؛ بل يعلم أن الله ﷻ هو مسبب الأسباب، لا يلغي السبب لكنه لا يغفل عن المسبب، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويُطيب لها السير. وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل: هو الثقة بجود الرب ﷻ»[(١)]. وقد قيل شعرًا:

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسرًا وتمزقًا
لولا الرجا يحدو المطي لما سرت ... بحمولها لديارهم ترجو اللقا

الفرق بين الرجاء وبين الأماني: أن الأماني بضاعة البطال، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، والرجاء مقرون بعمل، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ﴾ [الكهف: ١١٠]، أما الأماني فإنها تشوفات وتطلعات غير مقرونة بعمل، فلا يلبث أن يرى أن بساط العمر قد طوي ولم يخرج بطائل[(٢)].

فإياك أن تقع في هذا المزلق ـ مزلق الأماني ـ؛ فإنه لا يوصلك إلى مقصودك.

فهاتان عبادتان متقابلتان: الخوف والرجاء، وهذا من بديع دين الله: أن الله ﷻ يضبط النفس الإنسانية في معادلة دقيقة بحيث أن القلب يجري في هذا المضمار بين قطبي الخوف والرجاء؛ فالعبد يخاف من الله تعالى خوفًا يحجزه عن معاصيه، ويتعلق بربه تعلقًا يحفزه على طاعته،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).
(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

Black plate (86,1)

ويصبح القلب متوازنًا بين هذين، فإذا أقبلت نفسه على الدنيا، واستشرفت مباهجها وفتنها، جاء الخوف فضربه بسوط لاذع وقال: الزم الجادة! وإذا ادلهمت الخطوب، وضاقت به السبل، ووقع في المضائق، جاء نسيم الرجاء فنفس عنه، وعلقه بربه وبفرجه، فتنفس الصعداء وتفتحت الآمال، كل هذا بأثر هاتين العبادتين الجليلتين.

وقد صور العلماء الخوف والرجاء كجناحي الطائر؛ لو كان أحد الجناحين أكبر من الآخر لجنح في طيرانه، فينبغي أن يكون الحال الغالب على الإنسان تساوي الخوف والرجاء كما قال ربنا ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

عبادة (المحبة)

هناك عبادة ثالثة في الحقيقة هذا موضعها ومحلها، لم يذكرها الشيخ، ولعل هذا فوات حرص، وهي من أشرف العبادات القلبية، ألا وهي: (المحبة)؛ لأن أمهات العبادات القلبية ثلاث: المحبة والخوف والرجاء، وأصل هذه الأنواع الثلاثة وأشرفها المحبة؛ فالمحبة أعظم من الخوف والرجاء؛ لأن الخوف والرجاء ينقطعان ببلوغ الجنة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨]. أما المحبة فلا تنقطع، فمحبة المؤمن لربه باقية في الدنيا وتتضاعف في الآخرة، ودليلها قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ فمحبة الله ﷻ أشرف أنواع العبادة.

المحبة كذلك أنواع:

النوع الأول: **المحبة الطبيعية الغريزية المباحة**: كمحبة الطعام،

Black plate (87,1)

والشراب، والولد، والوالد، والزوجة، والزوج، وغير ذلك، فلا يلام عليها صاحبها.

النوع الثاني: المحبة المحرمة: وهي أن تحمله المحبة والتعلق إلى الوقوع فيما حرم الله، كما لو أحب شرب الخمر.

النوع الثالث: محبة العبادة وهي محبة السر: فهذه لا يجوز أن تصرف لغير الله، فمن أحب غير الله المحبة التي لا تنبغي إلا لله، فقد وقع في الشرك الأعظم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ومن رُزِق هذه العبادة، صارت جميع المحاب وجميع الملذات، تندرج تحت محبة الله ﷻ؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ. وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[(١)]. وبهذا تكتمل الحلق الثلاث: المحبة والخوف والرجاء؛ فحري بالمؤمن العاقل اللبيب أن يعتني بتحصيل هذه الأمهات؛ أمهات العبادات الثلاث: المحبة والخوف والرجاء. وقد صور بعض العلماء هذه الثلاث بالمركبة يستقلها الإنسان؛ فالمركبة هي المحبة، والقائد الذي يقودها هو الرجاء، والذي يحجزها عن الحيدة يمنة ويسرة هو الخوف.

قوله: (ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلَاق: ٣]).

(١) أخرجه البخاري، رقم: (١٦)، ومسلم، رقم: (٤٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

Black plate (88,1)

التوكل

حقيقة التوكل اعتماد القلب على الله ﷻ في حصول المطلوب، ودفع المرهوب مع فعل الأسباب الموصلة إلى ذلك.

فالقلب قلب يركن إلى ركن شديد: وهو الله ﷻ، لا بمجرد الكلام بل يتضح في المواقف، فيتبين من المتوكل على الله حقًّا ممن يتوكل باللسان، إذا ادلهمت الخطوب وضاقت السبل وغلقت الأبواب؛ حينئذٍ يهرب القلب ويتلفت يمنة ويسرة، فمن كان فزعه إلى الله معتقدًا بأنه لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يدفع السيئات إلا الله ﷻ، ولم يمنعه شعوره ذلك من اتخاذ الأسباب التي نصبها الله أسبابًا، فهذا المتوكل حقًا.

وأما من اتكأ على أريكته وقال: أنا متوكل، ولم يفعل سببًا، فهذا متواكل، وليس متوكلًا، فلا بد في التوكل من فعل الأسباب.

استدل المؤلف رحمه الله على إثبات عبادة التوكل بقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾، هكذا جاء فيما خاطب به موسى عليه السلام بني اسرائيل حينما قالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، فوعظهم وكان في موعظته: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾. فدل ذلك على أن التوكل شرط في الإيمان، وكذلك قول الله تعالى على سبيل الإطلاق: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣] ومعنى حسبه؛ أي: كافيه، من: أداة شرط، يتوكل: فعل الشرط، جواب الشرط وجزاؤه: جملة (فهو حسبه) وهذا ضمان من رب العالمين.

وهذه الآية جاءت عند ذكر الرزق حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

Black plate (89,1)

حَسۡبُهُۥۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ما أحوجنا إلى التوكل! ما أحوجنا إلى استحياء هذه المعاني في قلوبنا! لماذا نقلق؟ لماذا نأرق؟ لماذا يلحقنا الهم والغم؟ بسبب ذهاب النفس حسرات وراء الأسباب الدنيوية، لكن لو كان العبد مملوء القلب بهذه المعاني، لاستقر قلبه وسكن باله ولم ينشأ عنده ما يدعوه إلى القلق.

والتوكل عبادة؛ لا يجوز صرفه لغير الله؛ فلا يجوز للعبد أن يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلو قال عبد لشخص: توكلت عليك في شفائي أو توكلت عليك في رزقي؛ فقد وقع في الشرك الأعظم الذي لا يغفره الله ﷻ.

وأما التوكيل فهو مباح؛ وهو ما يُعرف عند الفقهاء «بالوكالة الشرعية» بأن يذهب الإنسان إلى كتابة العدل ويقول: وكلت فلانًا ببيع بيتي، أو في شراء كذا أو كذا؛ فهذا لا حرج فيه، وقد وكَّل النبي ﷺ عددًا من أصحابه في بعض الأمور، ولم يزل الناس هكذا:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض، وإن لم يشعروا خدم

فالناس يقضي بعضهم مصالح بعض بالوكالة، فهذه الوكالة لا حرج فيها. ونقول أيضًا: أنه ينبغي لمن وكل غيره بوكالة أن يستصحب في قلبه أن الله ﷻ هو الذي يبلغه مقصوده، وأنه ليس الوكيل الفلاني هو الحاذق البارع الذي يمكن أن يتم عليه المطلوب؛ بل يرى أن هذا سبب نصبه الله تعالى يمكنه من بلوغ مراده.

قوله: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]).